الأشياء الإيجابية ما لا ينبغي إغفالُه. **فالمنفيّ يمتلك رؤيةً أصيلةً حينما يرى العالَمَ كلَّه أرضًا غريبة**. وفي حين لا يرى الإنسانُ الذي لم يعش هذه التجربة سوى وطنٍ واحدٍ وثقافةٍ واحدةٍ، يدرك المنفيُّ أكثرَ من وطن وأكثرَ من ثقافة، وتتعدّد رؤيتُه بحيث تتعايش الثقافاتُ والبيئاتُ بشكلٍ طِباقي في شخصيّته. وهذا النوع من الإدراك لا تخفى أهميّتُه بالنسبة إلى المنفيّ، خصوصًا إذا واكبه لديه «وعيٌ بالتجاوزات الطِباقية الأخرى التي تَحدّ من الأحكام المتزمّتة وتسمو بالتعاطف والتفاهم» (ص ١٣٣).

❖ ❖ ❖

يتبيّن ممّا سبق أنّ أهميةَ هذا الكتاب لا تتجلّى فقط في تدعيمه للخطّ الذي سار عليه سعيد منذ **الاستشراق**، وإنّما في التقائه أيضًا مع بعض الطروحات الأنثروبولوجية للنظرية الأدبية المعاصرة، التي ينصبّ اهتمامُها على إعادة قراءة الثقافة الغربية من منظورٍ يتّسم بالمراجعة والنقد، وفي طليعتها ما أنجزه تودوروف في كتابيْه: **فتح أميركا**، و**نحن الآخرون**. وهذا الانحياز إلى الحقّ ضدّاً على نزعات التسلّط والهيمنة لا يجعل النقدَ عند سعيد مؤسَّسًا على القطيعة أو العدائية، بل يقترح فضاءاتٍ لسكنى جماعيةٍ بديلةٍ قوامُها: التعايشُ والتلاقي والاعتمادُ المتبادل. وإذا كان قارئُ سعيد لا يمكن إلاّ أنْ يتأثّر بالنبرة القلقة التي تَسِمُ جلَّ كتاباته حول الموضوعات التي فكّر فيها، وفي طليعتها تجربةُ النفي، فلأنّه كان يلاحق فوضى الحياة وقسوتَها من خلال البشر الذي أَبْصَرَ في منفاهم أو ضياعِهم شيئًا يُسْعفه على فهم شرطه الخاصّ، وفي مقدّمتهم الشاعر الفلسطيني محمود درويش والروائي البولندي جوزيف كونراد الذي يَحْضر في كتاباته كاللازمة المتكرِّرة... مع فارق: هو أنّ كونراد كان أوروبيّاً، ومن ثم تحرّك غريبًا ضمن العالم ذاته؛ أما سعيد الفلسطيني الهوية فقد نشأ ضمن فضاء القدس ثم مصر حيث كان الإنجليزُ يتقصّدون تكوينَ جيلٍ من العرب يرتبط ببريطانيا بروابطَ طبيعية.

قصيدتان

. خالد الشوملي ❖ .

سحر اللغة

إذا ما تَمَلّكْتَ من لغةِ السِّحرِ
يا شاعري،
حَوّلِ الحربَ بحرًا لنا رحبًا؛
دَمُنا دعْهُ حبْرًا
ليَرْقصَ فيه الكلامُ؛
فقد نتجنّبُ حربًا،
ونربحُ حبًّا،
ونُبْحرُ في قاربٍ،
وتكونُ الشراعَ ذراعُ ملاكٍ.
توغّلْتَ في غابةِ الشعرِ
فاتركْ يراعَكَ في شارعِ الكلماتِ
شعارًا لنا أو أميرًا.

حجر فوق فؤادي

حجرٌ فوقَ فؤادي باردٌ
تَنْقصُني دغدغةُ الشمسِ
رمالٌ فوقَ أضلاعي
يغطّيني غبارُ الشرقِ والعاداتِ.
يا نبتةَ حبّي، لا تموتي!
وانفضي نفسَكِ
كي يرتجفَ الغيمُ؛
فميلادٌ جديدٌ قد يجيءُ اليومَ،
طفلٌ صغيرٌ ربّما
يُبْعدُ عنّي حجرَ الموت.

ألمانيا

❖ ـ شاعر من فلسطين مقيمٌ في ألمانيا.